العرب
الثلاثاء 2021/10/19
السنة 44 العدد 12214

نصرالله ونظرية الإفلات من العقاب

فاروق يوسف
كاتب عراقي

حسن نصرالله غاضب لأن أحد المقربين منه حزبيا مطلوب للعدالة. من أجل ذلك المتهم وتعبيرا عن ذلك الغضب سقط سبعة شباب لبنانيين قتلى. كانت تلك المأساة مناسبة للابتزاز الطائفي. "مسيحيون قتلوا شيعة" لا لشيء إلا لأن المجزرة حدثت في منطقة يقطنها المسيحيون وهي المنطقة نفسها التي شهدت اندلاع شرارة الحرب الأهلية اللبنانية عام 1975. يومها قيل "مسيحيون قتلوا فلسطينيين". الديكور نفسه واللغة نفسها والنوايا الشريرة تملأ الطرقات شوكا.

مر باص الفلسطينيين بالمكان الذي يشهد احتفالا كتائبيا يغلب عليه الهياج مثلما اخترقت حشود مقاتلي حزب الله الغاضبين منطقة مسيحية يطالب سكانها بنزع السلاح غير القانوني. أضاقت دروب بيروت أم الرغبة في تلقين اللبنانيين درسا صغيرا في الحقد هي التي اتسعت؟

لمَ لا تكون مؤامرة؟ لا أحد في لبنان يرغب في الحرب الأهلية سوى حزب الله وبالأخص زعيمه حسن نصرالله التلميذ الإيراني الذي لم يتعلم من تراثه الطائفي سوى الكراهية واختراع الأعداء

لا يريد حزب الله سوى أن يتم إخراجه من معادلة المساءلة. فهو يقيم في جزيرة لا تخضع لسلطة القانون. صحيح أنه يحكم لبنان غير أن العدالة في جزء منها لا تزال خارج قبضته. تلك مسألة يحلّها الوقت. والوقت لا يجري لصالح اللبنانيين ما دام العالم قد اكتفى بعقابهم لأنهم من وجهة نظره قد ارتضوا لأنفسهم السير وراء الوحش الذي التفت إليهم أخيرا ليأكلهم.

العالم يعاقب الضحية لأنها خدعت نفسها بإيواء القاتل. ليست علاقة شفقة ولا يمكن للتضامن أن يقود إلى أن يذبح القاتل مشجعيه. أشياء كثيرة وقعت خطأً ولا يمكن سوى أن تكون مصدرا للفزع. منذ عشرين سنة لم تعد هناك ضرورة لوجود حزب الله على الأراضي اللبنانية. تلك حقيقة حذّر منها الكثيرون غير أن اللبنانيين لم يملكوا الحيلة المناسبة للتعامل معها أو معالجتها في خضم تشنّجهم الطائفي الذي لا يكف عن العثور عمّن يغذيه.

ولكن هل صار الإفلات من العقاب قاعدة في لبنان بعد أن استطاع حزب الله أن يسلب المؤسسات التنفيذية إرادتها ويفقدها القدرة على البقاء إلا تحت مظلته كما هو حال رئاسة الجمهورية؟

يأمل حزب الله في إلحاق المؤسسة القضائية بالمؤسسة التنفيذية فتكتمل الدورة التي بدأت مع شلل المؤسسة التشريعية التي يقودها الزعيم الأزلي نبيه بري وهو حليف حزب الله في الحرب على العدالة. ذلك ما يمزج المأساة بالملهاة في الظاهرة اللبنانية الفريدة من نوعها في التاريخ. فإن يقف كبير المشرعين ضد العدالة وسيادة القانون واحترام استقلالية القضاء فذلك أمر هو أشبه بالفكاهة السوداء. لا يحدث ذلك إلا في لبنان.

يكفي أن يُقال "الثنائي الشيعي" فإن ذلك المصطلح يعني أن منصب رئاسة مجلس النواب الذي يتولاه بري هو واحدة من أكبر الأكاذيب التي يتعامل معها اللبنانيون بكثير من الحذر خشية أن ينفجر اللغم وتبدأ دورة عنف جديدة. فالرجل لا يخرج عن دائرة كونه خصما يحث الخطى في اتجاه الحرب باعتبارها حلا وحيدا. تلك ذاكرته التي تخفي وجهه القبيح الذي يصلح وحده من غير كلمات للتذكير بالحرب الأهلية.

في مقابل كل ما يقوله اللبنانيون فإن سيد المقاومة يضع مصير لبنان بشعبه مقابل نزع سلاح حزبه. ومن أجل أن لا تبدو تلك المعادلة ضاغطة ومن أجل تجاوزها باعتبارها فقرة من عهد قديم صار يدفع في اتجاه ضم القضاء إلى العائلة الخاضعة لوصايته. فبعد رئاسة الجمهورية ورئاسة الحكومة ورئاسة مجلس النواب حان وقت إخضاع رئاسة القضاء لينضم إلى مجمع الضياع. حينها فقط يطمئن حزب الله إلى أن معارضيه في جرائمه لن يكونوا سوى أصوات تشق طريقها إلى برية لا نهاية لها. سيكون لبنان دولة لحزب الله. مختبر حروبه الفاشلة ومصيدة الآمال المحبطة. بدلا من سويسرا الشرق سيكون قندهار ثانية.

مَن قتلوا في عين الرمانة كانوا على يقين من أن وقع بساطيرهم على الأرض سيدفع النملة إلى أن تطلب من أخواتها توخي الحذر لئلا يسحقهم جيش السيد.

"لبنانيون قتلهم لبنانيون" هل هي جملة تعبّر عن الحقيقة؟ لمَ لا تكون مؤامرة دبّرها جهاز السيد الأمني؟ ألسنا في زمن الحشاشين الإيراني؟ لا أحد في لبنان يرغب في الحرب الأهلية سوى حزب الله وبالأخص زعيمه حسن نصرالله. التلميذ الإيراني الذي لم يتعلم من تراثه الطائفي سوى الكراهية واختراع الأعداء. في كل كلمة من خطاباته يقول ضمنا "إنهم يكرهوننا". وهو في ذلك إنما يبتز شيعة لبنان ويهدد شعب لبنان في الوقت نفسه.

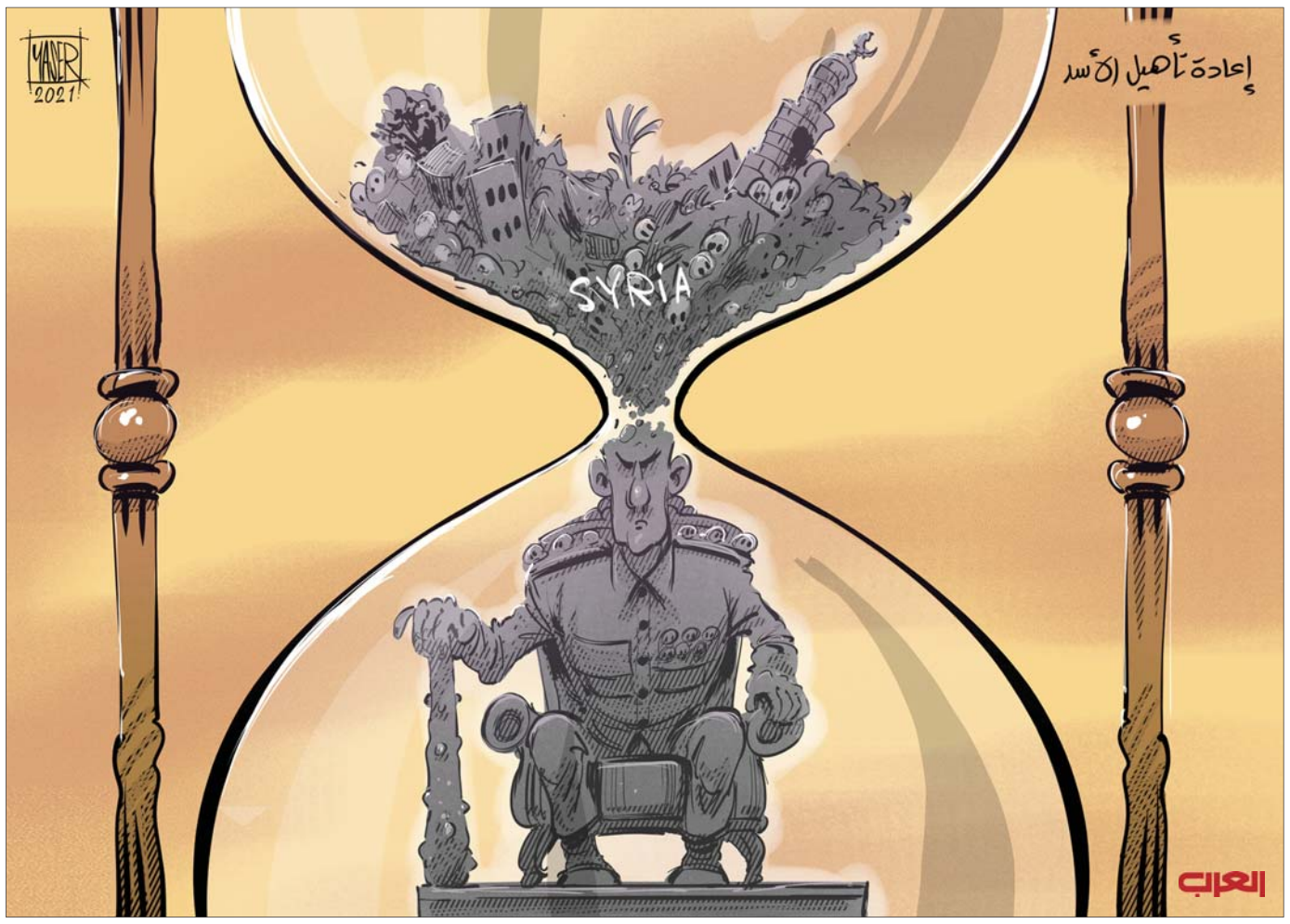

ماذا عن موقف النخب السورية من التطبيع مع الأسد؟

إبراهيم الجبين
كاتب سوري

بوسع النخب السياسية والثقافية السورية الحديث عن موقف مبدئي جذري غير قابل للتفاوض مع مسألة التطبيع مع الأسد. وبوسع من يخالفهم الرأي القول إنهم لم يرفضوا الحل السياسي القائم على التشارك بين النظام والمعارضة في تأسيس هيئة حكم انتقالية وفق قرار مجلس الأمن 2254. ويمكن أن تردّ النخبة السورية بالقول إن هذا لا يشمل العفو عن جرائم الحرب التي فاقت المعقول، والتي توّجت باعتقال مئات الآلاف ومقتل أمثالهم وتهجير الملايين بالهجمات الكيمياوية التي لم تعد بحاجة إلى دليل، بعد أن وثقتها الأمم المتحدة والمنظمات الدولية.

لكن مع ذلك فإن هناك قطارا من التطبيع العربي مع الأسد انطلق مؤخرا، والتحقت به واحدة من أهم دول الجوار؛ الأردن، فما العمل لو واصل ذلك القطار صفيره ودخانه الذي يغشي الأبصار؟

الواقع أن السوريين أنفسهم بدوا غير حاسمين، ليس أغلبهم، لكن كثيرا منهم، بين مؤمن بالحل السياسي، وبين رافض له. فالحل السياسي له استحقاقاته، وإن قبلت بالجلوس حول طاولة مفاوضات فهذا يعني أنك ستقبل بالمزيد في طريق التفاوض قبل الوصول إلى توقيع وثيقة سلام.

ليست المرة الأولى التي يجد فيها أكثر المثقفين السوريين تمسكا بمعارضة نظام الأسد نفسه أمام خيارين، غض النظر، أو النأي بالنفس والبقاء على جذريته حيال جرائم ارتكبت في عهد الأسد الأب والابن. لكن هذه المرّة الجريمة أكبر، والمطالبون باتخاذ الموقف الواضح أعدادهم أكبر من أعداد المعارضين السوريين الذين وجدوا في الماضي أن العيش في المنفى سبيلا أخيرا بدل القبول بالأسد.

هذه المرّة أيضا، الأسد لم يتغيّر. العرب هم الذين قرروا تغيير مقاربتهم. وبدلا من المقاطعة وترك سوريا بين يدي الإيرانيين والروس، لماذا لا يكون للعرب موطئ قدم في الأرض المنهوبة؟ وحدها النخب السورية لم تتغير. لا هي قدّمت حلولا مبتكرة تمثل خروقات وتفكيرا خارج الصندوق يحلحل الاستعصاء السوري، ولا هي تراجعت عن مطالبها، لا هي مضت إلى الأمام في علاقاتها البينية ولا هي حسمت من هو العدو من الصديق في المعادلة السورية المعقدة. بقيت تنتظر الإشارة من الأقوياء متناسية أن هناك من ينتظرها بدوره، وأعني الشعب السوري، الثائر ضد الأسد، والموالي له معا، والذي يشعر أنه بحاجة وربما لمرة نادرة إلى من يتخذ الخطوات الأولى نيابة عنه.

الولايات المتحدة الأميركية لا تزال ترفض مسار التطبيع مع الأسد، وتضع شروطا لموافقتها عليه، في العلن، وفي الكواليس تبارك تلك الخطوات وتدفع بها لأسباب لها علاقة بتصوّرها لخارطة الشرق الأوسط المستقبلية.

ولعل ذلك الجيل من الحكام العرب الذين شهدوا خروج الأسد الأب من ظروف مشابهة بداية ثمانينات القرن العشرين، لم يعد موجودا الآن، ليروي لسلفه كيف أن الأنظمة العربية التي عارضت بطش الأسد بشعبها حينها، ثم ضربت صفحا عن ذلك ووطّدت علاقاتها معه، عادت واستجابت للأسد القوي الخارج من حمامات الدم، أكثر شراسة لا حيال شعبه، بل تجاه الشعوب العربية من حوله، فلم يقصّر بابتزاز كافة الحكومات المحيطة به وتلك التي اعتبرت ركائز الحالة العربية آنذاك، مثل الرياض والقاهرة وبغداد وصولا إلى المغرب العربي.

ولا يسأل أحدٌ كيف سيخرج الأسد الابن غدا من العشرية الدامية؟ بأي حال سيتفاهم مع العرب ودول الإقليم؟ ولا يظنّ أحمقٌ أن تلك الحرب الرهيبة قد حوّلت الأسد إلى قط وادع في الحضن العربي الذي يشتاق إليه.

لم تجد الدول العربية في المعارضة السورية ضالتها، لم تعتد على ذلك أصلا، فهي حكومات دول مستقرة، ألفت التعامل مع حكومات مثلها، أما التفاعل مع حالة فصائلية سياسية وعسكرية ومطالب خارجة عن المألوف العربي، ديمقراطية وتداول للسلطة وحريات وغيرها فهذا لا يركب على تروس الأنظمة العربية ومسنناتها. ولماذا يفعل والغرب ذاته لم يتقبّل الديمقراطية الثورية العربية التي ولدها الربيع العربي ولا تزال في مخاض فوضوي يتنازع الديني والليبرالي وما قبل الدولاتي.

عشر سنوات مرّت، وقد رفع فيها منذ الأول شعار "الثقافة هي الحل" بدلا عن "الدين هو الحل" و"العرق هو الحل" و"القوة هي الحل" دون أن تجد الثقافة التي هي حاجة ماسة، وليست ترفا ولا فذلكة نافلة، أي إدراك لذلك كله، لا من النخب السياسية التي كان يجب أن تعرف أن الثقافة هي بضاعتها الأصلية، ومن دونها فهي تبني على الفراغ ما سيهوي إلى الفراغ بعد قليل. ولا من الشارع الذي تلاعبت به الشعبوية والأهواء رغم سيل المعلومات وثورة الاتصالات ووسائل التواصل وشيوع المعرفة.

تلك النخب بمختلف مشاربها ومذاهبها واتجاهاتها، لا تملك اليوم سوى خيار الوقوف على ضفة النهر وانتظار مرور جثث خصومها وأعدائها مع التيار، وهو خيار يبدو وجيها حين لا يكون لديك غيره، وحين نتخيل شكل التطبيع العربي مع الأسد مستقبلا، ومعنى ذلك حين يترجمه الأسد عمليا على أرض الواقع، فهو في موضع الآن يسمح له بالمطالبة بثمن التطبيع معه، دون أن يدفع شيئا. العرب لا يطلبون الثمن في عهودهم هذه. يدفعون الفاتورة وهم مبتسمون. دون أن يحسبوا ما الذي سيجبرهم الأسد على دفعه لاحقا.

أحصنة طروادة الحوثية تتّجه جنوبا!

صالح البيضاني
صحافي يمني

قد يبدو الحديث عن أهداف الحوثيين العسكرية ما بعد مأرب، ضربا من التشاؤم في نظر المناهضين للميليشيات المدعومة من إيران في اليمن، لكن الواقع يؤكد أن مسار الحرب يسير منذ العام 2017 في اتجاه واحد يصب في صالح المتمرّدين الحوثيين الذين استغلوا العديد من العوامل والتحولات الداخلية والخارجية التي خدمت مشروعهم الأيديولوجي العنيف.

ومع تقدم الحوثيين البطيء في مأرب، بات السؤال المنطقي يتمحور حول هدفهم القادم، على الرغم من الرسائل المخادعة التي يحاولون بثها داخليا وخارجيا حول رغبتهم في الجلوس على طاولة الحوار ووضع نهاية للحرب بعد سيطرتهم على آخر وأحصن معاقل الشرعية في الشمال.

ولا تنطلي أكاذيب الحوثيين حول نهاية مطاف آمالهم التوسعية، على من يعرف جيدا سيرتهم السياسية والعسكرية الملطخة بالانقلاب على الاتفاقات والتملص من المواقف المرنة المصطنعة التي عادة ما يطلقونها في لحظات ضعفهم قبل أن يخلعوها كمعطف فراء خشن مع أول فرصة سانحة تلوح للانقضاض على خصومهم.

وعلى سبيل المثال لا الحصر، ظل الحوثيون خلال الحروب الست يرفعون شعارات منادية بحق الجنوبيين في تقرير مصيرهم، لكنهم أعقبوا هذه السلسلة الطويلة من الخطابات المخاتلة باجتياح عنيف لجنوب اليمن بعد انقلابهم وسيطرتهم على العاصمة اليمنية صنعاء مباشرة.

ومن يعرف تكتيك الحوثيين السياسي يدرك حتما أن هزيمتهم المذلة في عام 2015 وطردهم من المحافظات الجنوبية بشكل مهين لم تفقدهم رغبتهم الجامحة في إعادة الكرّة، ولكن بأساليب مغايرة بعض الشيء هذه المرة ومع رصيد أكبر من الخداع والمكر والانتهازية.

ويمكن اعتبار خسارة الحوثيين في العام 2017 لمنطقة بيحان في محافظة شبوة بعد مقاومة شرسة، نموذجا مصغرا لما يمكن أن يكون عليه الحال في الأيام القادمة لمشروعهم تجاه الجنوب، حيث استعادوا المنطقة التي خسروها، ولكن بوسائل مختلفة بعض الشيء، مستخدمين عوامل محلية في المنطقة وولاءات عرقية وسلالية مكنتهم من السيطرة على بيحان ومناطق مجاورة من داخلها أو ما يمكن وصفه باستخدام سلاح الخيانات القاتل.

ومع ما يعتقد الحوثيون أنه اقتراب مخطط إسقاطهم لمحافظة مأرب الاستراتيجية من نهايته، يبدو أن الجزء العملي من استراتيجية نقل المعركة جنوبا قد بدأ بالفعل، بعد أن ظل مقتصرا طوال السنوات السبع الماضية على الجانين الاستخباري والإعلامي، وتغذية الصراع بين المكونات المناوئة لهم وتحديدا الشرعية والمجلس الانتقالي.

العديد من الشواهد تقول إن الجماعة المدعومة من إيران تستعد لاختبار القوة في محافظة شبوة تحت ذريعة ملاحقة الإخوان والقاعدة ولكن الهدف الحقيقي يبدو أنه على صلة بتتبع موارد النفط والغاز

والواقع والعديد من الشواهد تقول اليوم إن الجماعة المدعومة من إيران تستعد بالفعل لاختبار القوة مجددا في محافظة شبوة تحت ذريعة ملاحقة الإخوان والقاعدة، ولكن الهدف الحقيقي يبدو أنه على صلة بتتبع موارد النفط والغاز الممتدة من مأرب حتى شبوة وصولا إلى وادي حضرموت، ويأمل الحوثيون في تحقيق هدفهم هذا بالاستفادة من الفراغ الاستخباري الذي خلفه غياب مؤسسات الاستخبارات التابعة للحكومة الشرعية وسيطرة الجماعة على هذا الملف الحساس بشكل منفرد، إلى جانب تجنيد خلايا نائمة يجمعها بالحوثيين هاجس الانتماء السلالي والعرقي كما حدث في بيحان وحريب ومناطق أخرى استخدم الحوثيون فيها "حصان طروادة" وحركوا "الطابور الخامس".

وفي تطور لافت ومتوقع وعلى صلة بمخططات نقل أدوات الصراع إلى جنوب اليمن التي تطل برأسها، قرأ بعض الباحثين والمهتمين بالشأن اليمني، خبر عودة القيادي في الحراك الجنوبي حسن باعوم إلى محافظة حضرموت في هذا التوقيت المريب والمعقد والمفصلي في مسار الأزمة اليمنية، بأنه جزء لا يتجزأ من ممهدات التحضير للصراع الداخلي الجنوبي وبما يخدم أجندة إقليمية داعمة للمشروع الحوثي ومعادية للتحالف العربي ترى أن في هزيمة المشروع العربي في اليمن انتصارا لها!

وبينما يبدو أن الحكم على فرص نجاح مثل هذه المشاريع التي تستهدف جنوب اليمن والمجلس الانتقالي الجنوبي بوصفة المكون السياسي الجنوبي الأبرز اليوم، مبكرة بعض الشيء، غير أن المؤشرات تؤكد من واقع تجارب سابقة وحوادث متكررة، أن المشروع الحوثي المدعوم إيرانيا والذي يحظى بتواطؤ دولي وإقليمي من بعض الدول التي ترغب في تصفية حساباتها مع خصومها في اليمن، لن يتوقف أو تتعثر أقدامه جنوبا، ما لم يجد مشروعا مناهضا يتصدى له ويسبقه بخطوات ويفكر بنفس طريقتها، وكل ذلك يتطلب اتخاذ قرارات جريئة وشجاعة اليوم وليس غدا.